مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
Jazan University Journal of Human Sciences (JUJHS)

صفات (الوجه– اليد– العين– العجب) عند الواحدي من خلال التفسير البسيط: عرض ونقد في ضوء منهج أهل السنة والجماعة

إيمان عبد الرحمن الخالدي
قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

The Attributes of (Face, Hand, Eye, And Wonder) According to Al-Wahidi Through His Simple Interpretation, Presentation and Criticism in Light of The Approach of The People of The Sunnah and The Community

Eiman Abdulrahman Al-Khaldi
Department of Islamic Studies, Faculty of Sharia and Law, Jouve University, Kingdom of Saudi Arabia

DOI	RECEIVED الاستلام	Edit التعديل	ACCEPTED القبول
https://doi.org/10.63908/npk6qx12	2025/04/25	2025/09/27	2025/09/29

NO. OF PAGES عدد الصفحات	YEAR سنة العدد	VOLUME رقم المجلد	ISSUE رقم العدد
25	2025	1	14

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة نماذج من تأويلات الواحدي –من خلال تفسيره للقرآن الكريم " التفسير البسيط"– لصفات الله –تعالى– عند التعرض بالتفسير للآيات التي تذكر فيها هذه الصفات، لاستخلاص ملامح منهجه العقدي فيها، ثم عرض هذه الأقوال على منهج أهل السنة والجماعة، لبيان مدى الموافقة لهم من المخالفة وقد تم أخذ نماذج من تفسيره للآيات التي تحدثت عن [الوجه– اليدين– العين – العجب] لإبراز منهجه العقدي في الصفات عموما، ولقد اتبعت الباحثة المنهج النقدي في تناولها لهذه الموضوعات، ولقد توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: أن منهج الواحدي في تأويل الصفات هو منهج الأشاعرة المتأخرين، وذلك في إثبات بعض الصفات لله –تعالى– إثباتا مقاربا للسلف من وجه، ومقاربا من وجه آخر للمعتزلة، أن منهج أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون ما أثبته الله –تعالى– لنفسه، وما أثبته له رسوله _صلى الله عليه وسلم_، من غير تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، أن الله أثبت لنفسه صفة "الوجه واليدين، والعينين، والعجب"، وبيان خطأ ووهم تأويل المعطلة للصفات، كما أوصي البحث بالحرص على الالتزام بعقيدة السلف فهي الجديرة بأن تجمع المسلمين على كلمة سواء وتعصمهم من التفرق في الدين لأنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–مع نبذ الخلافات الهدامة، والآراء الشاذة فيما يتعلق بذات الله وصفاته.

الكلمات المفتاحية: صفات، الواحدي، البسيط، السنة والجماعة.

Abstract:

This research aims to study samples of al-Wahidi's interpretations—through his Quranic exegesis "Al-Basit"—regarding the attributes of Allah when explaining verses that mention these attributes to extract the features of his doctrinal methodology, then present these interpretations against the methodology of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah to determine the extent of agreement or disagreement. The selected samples from his interpretation of verses discussing [Face, Hands, Eye, and Wonder] have highlighted his doctrinal approach to divine attributes in general. The researcher followed a critical methodology in addressing these topics. The findings indicate that Al-Wahidi's methodology in interpreting divine attributes aligns with that of later Ash'arites, affirming certain attributes in a manner partially consistent with the Salaf, while also bearing resemblance to the Mu'tazilite perspective in some respects. The methodology of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah entails affirming the attributes that Allah has confirmed for Himself and those affirmed by His Messenger (peace be upon him) without distortion, anthropomorphism, or nullification. Allah has established the attributes of face, hands, eyes, and amazement for Himself and critiques the erroneous interpretations of those who negate divine attributes. The research recommends adhering to the creed of the Salaf, as it serves as a unifying doctrine for Muslims and protects against doctrinal divisions. Since it is derived from the Quran and the Sunnah, it is the most reliable foundation for understanding divine attributes while avoiding destructive disputes and speculative opinions concerning the essence of Allah and His attributes.

Keywords: Attributes, Al-Wahidi, Al-Basit, Ahl Al-Sunnah Wa Al-Jama'ah.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وسلم. أما بعد:

فإنَّ كل أمَّة من الأمم تتخذ لنفسها منهاجًا تقيم شؤون حياتها عليه، وتجعل لها "دستورًا تضبط به حركتها وحركة القائمين على شؤونها، وتندب ثلة من خيرتها للقيام على هذا المنهاج، وذلك "الدستور" تعلمًا وتفقهًا ورعايةً وتجديدًا وتقويمًا، ومباحث العقيدة من أهم ما يعتني به المؤمن دراسةً وفهمًا، وعلمًا وعملًا؛ لأنَّ العقيدة أساس الديانة، وقاعدة الملة المتينة، وعليها شُيدت مباني الشريعة، لذا اهتمت بها كتب الله المنزلة، ورسله المرسلة، ولو نظرنا إلى تفسير علي بن أحمد بن محمد الواحدي لوجدنا أنَّ كتابه "التفسير البسيط" من أشهر كتب التفسير بالمأثور، وهو واحد من كتبه الثلاثة في علم التفسير.

ومن أهمية هذا الكتاب الجليل تصدِّي الواحدي للفرق الضالة – خاصة القدرية– كلما سنحت له فرصة، فيرد عليهم، ويُبين بُعد منهجهم عن الصواب، ومجانبتهم لما دلَّت عليه الآيات القرآنية والسنَّة المطهرة، وله أقواله في الكثير من مسائل العقيدة عمومًا في ثنايا تفسيره للآيات الكريمة، كما أنَّ له أقوالًا فيما يتعلق بمباحث الغيبيات، وعلى رأس هذه المهمات حديثه عن صفات (الوجه– اليد– العين– العجب) والتي تكلم عنها كثيرًا في معرض تفسيره للآيات التي وردت فيها، وقد فصلنا فيه القول بما يحتمله المقام بذكر قوله من خلال تفسيره، وفي ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة في حديثهم عن هذه الصفات من مصنفاتهم بين القدماء والمعاصرين، ورغم انتماء الواحدي للمذهب الأشعري، إلا أن مدرسته العقدية تمثل في بعض المواضع امتدادًا لمنهج الأشاعرة المتقدمين ومخالفةً لبعض تفصيلات المتأخرين من متكلمي الأشاعرة، فثمة فروق معتبرة بين اختيارات الواحدي وبعض ما استقر عليه المذهب المتأخر، وهو ما يبرز جانبًا من استقلاله العلمي أو ميوله إلى مفاهيم المدرسة الأشعرية الأولى أو الوسطى أكثر من انخراطه مع غلو التأويل عند المتأخرين.

مشكلة البحث:

الكتاب سفر ضخم حوى الكثير من الآراء والأحاديث والآثار والمسائل، وفي مسائل العقيدة سلك الواحدي نهج المتكلمين الأشاعرة تاركًا خلفه طريقة السلف، سائرًا على ذلك في جميع مباحث العقيدة التي تكلم عنها، والواحدي في تفسيره لهذه الصفات محل الدراسة وغيرها يظهر قوله ويدافع عنه، ولذلك دعت الحاجة إلى تحليل أقواله في مسائل عقدية وطرحها في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة.

أهمية البحث:

يتناول البحث معرفة منهج الواحدي في باب الصفات من خلال تفسيره (البسيط) في باب الصفات، ونختار منها (الوجه– اليد– العين– العجب)، ويعد تفسير البسيط سفرًا ضخمًا في ذكر مذهب الواحدي العقدي والفكري عمومًا، وفي باب الصفات خصوصًا، ويزداد الأمر أهمية في كون الواحدي من كبار أئمة المذهب الأشعري؛ مما يستدعي إيضاح أقواله تلك في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة، كما تكمن أهمية البحث في كونه يتعرض لثلاث رؤى مختلفة في باب الصفات منهج الواحدي، منهج الأشاعرة، منهج أهل السنَّة والجماعة، فهو يجمع بين التفسير والعقيدة في ضوء استنباط الأدلة من النصوص، وسرد النقول لعلماء أهل السنَّة والجماعة، بعد تحليل تفسير الواحدي لآيات الصفات من كتاب الله تعالى.

أهداف البحث:

1- الوقوف على منهج الواحدي في باب الصفات من خلال تحليل قوله في هذه الصفات (الوجه- اليد- العين- العجب)؛ لمعرفة المنهج الذي سلكه في إثباتها للوقوف عن قرب على منهجه في هذا الباب.

2- توضيح منهج الأشاعرة في صفات (الوجه- اليد - العين- العجب)، الذين ينتمي إليهم الواحدي عقديًا.

3- دراسة الأقوال التي ذكرها الواحدي في ثنايا تفسيره لآيات الصفات محل الدراسة، ومناقشتها ونقدها في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة ومناقشتها.

4- بيان ثمرات بناء معرفة العقيدة الصحيحة وفق منهج القرآنِ الكريمِ، والسنَّة النبوية المطهرة، وما يحقِّقه من وحدة ووضوح مما يُغنِي الأمة عن كثيرٍ من الفتن الفكرية، ويُعِين على إخراجها من الفرقة والتناحر.

أسئلة البحث:

1- ما منهج الواحدي في صفات (الوجه- اليد- العين- العجب) من خلال تفسيره البسيط؟

2 - ما منهج الأشاعرة في صفات (الوجه- اليد- العين- العجب) والذين ينتمي إليهم الواحدي عقديًا؟

3- ما منهج أهلِ السنَّة والجماعة في صفات (الوجه- اليد- العين- العجب)؟

4 - ما ثمرات بناء معرفة العقيدة السليمة وفق منهج القرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة؟

حدود البحث:

يتناول البحث بالدراسة الأقوال العقدية التي ذكرها الواحدي في تفسيره البسيط، والتي تتعلق بأقواله في صفات(الوجه- اليد- العين- العجب) في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة، من خلال أقواله التي ذكرها واعتمدها في تفسيره للآيات التي تعرضت بالذكر أو الإشارة لهذه الصفات الكريمة من خلال أخذ نماذج من أقواله تدل على غيرها، وليس تحليل كل أقواله في جميع المواضع التي تعرضت بالحديث لهذه الصفات فهو أمر يطول، ثمَّ عرض قوله في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة، وذلك بإفراد كل صفة بالحديث في مبحث مستقل يتصدر المبحث قول الواحدي من خلال تفسيره لهذه الآيات.

الدراسات السابقة:

1- دراسة رضوان، محمد إبراهيم "جامعة المدينة العالمية " الأردن، بعنوان: "الواحدي ومنهجه في تفسير الوسيط"، منشورة بتاريخ 2011م -1432هـ.

2- دراسة المهيدب، هيلة بنت إبراهيم بعنوان: "المسائل العقدية في مقدمات كتب التفسير - جمع ودراسة"، رسالة دكتوراه جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2013.

3- دراسة العنزي، سارة بنت سعود بعنوان: "المسائل العقدية عند إسماعيل حقي من خلال تفسيره روح البيان"، طبعة مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع، 2020.

4- دراسة المنيع، ناصر محمد محمد بعنوان: "منهج الواحدي في تفسير القرآن بالقران في كتابه الوسيط- دراسة تطبيقية على سورتي الرعد وإبراهيم"، مصر- جامعة المنيا، كلية العلوم، منشورة بتاريخ 2021م.

5- دراسة الحقباني، مشاعل بنت سعد بعنوان: "منهج الواحدي في أسباب النزول في كتابه الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، بحث محكم منشور بمجلة جامعة زمار - كلية الآداب - اليمن، 2021.

6- دراسة زيد، أسماء بنت خالد قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، بعنوان: "منهج الإمام الواحدي في أسباب النزول دراسة موازنة بين تفاسيره الثلاثة وكتاب أسباب

النزول نموذج تطبيقي في سور: الأنفال، مريم، عبس"، والدراسة مقال محكم نشر بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف، 2022.

7- دراسة حسن، أحمد محمد الزبير بعنوان: "المذاهب العقدية في الصفات الخبرية"، وهي مقال محكم جامعة القاسمية دولة الإمارات العربية، بتاريخ 2022/4/29.

8- دراسة البلوشي، علي محمد جامعة الشارقة، الإمارات، بعنوان: "منهج الواحدي في التفسير بالمأثور من خلال تفسيره الوسيط- سورة البقرة أنموذجًا"، منشورة بتاريخ 2024م.

ولا تخرج هذه الدراسات السابقة عن تناول كتاب الواحدي البسيط من حيث كونه كتاب تفسير لكتاب الله؛ حيث تعرضت لأسلوبه وأدواته في التفسير, وأسباب النزول عنده، ولم نجد دراسة متخصصة عالجت أو تعرضت لبيان الجانب العقدي عنده؛ وتوجد دراسات تناولت المناهج العقدية على العموم، أو عند غيره، لذلك لم نر دراسة منها متخصصة خرجت لتعالج آيات الصفات عند الواحدي، والحديث عن تأويلاته للآيات، أو عن تأثره بمنهج عقدي، أو الاستقلال برؤية عقدية في باب العقيدة عمومًا أو في شق معين من مباحثها كما تناول هذا البحث الذي يتناول رؤية الواحدي لمسائل العقيدة من خلال نماذج من تفسيراته للآيات التي ذكرت الصفات الأربعة موضع الدراسة.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث الحالي اعتماد المنهج التحليلي والنقدي.

خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على: أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، الدراسات السابقة، وخطته.

المبحث الأول: صفة الوجه عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفة الوجه عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط.

المطلب الثاني: صفة الوجه في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة.

المبحث الثاني: صفة اليد عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفة اليد عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط.

المطلب الثاني: صفة اليد في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة.

المبحث الثالث: صفة العين عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفة العين عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط.

المطلب الثاني: صفة العين في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة.

المبحث الرابع: صفة العجب عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفة العجب عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط.

المطلب الثاني: صفة العجب في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: صفة الوجه عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة:

المطلب الأول: "صفة الوجه" له جلَّ جلاله عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط:

من المعلوم أن باب الصفات الإلهية يُعدّ من أكثر مباحث العقيدة تفاوتًا بين منهجي السلف والمتأخرين من الأشاعرة، فقد ذهب الأشاعرة في عصورهم الأخيرة إلى إثبات بعض الصفات على وجه لا يخلو من التأويل، فاقتربوا في بعضها من مسلك المعتزلة في حين بقوا في غيرها أقرب إلى السلف، فجاء منهجهم بين الإثبات الإجمالي والتأويل التفصيلي. وقد بدت آثار هذا الاتجاه بوضوح في تفسير الواحدي، الذي يُعد من أعلام المدرسة الأشعرية في القرون المتأخرة.

والواحدي يُعد من أئمة الأشاعرة المتأخرين الذين قرروا هذا المنهج وسلكوا طريق التأويل، ويظهر ذلك من خلال تأويله لآيات الصفات في تفسيره البسيط " ومن هذه الصفات "صفة الوجه "عندما تعرض لها في تفسير الآيات التي ذكرت هذه الصفة كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾" [البقرة: 272] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾" [الروم: 39]، وغيرها من الآيات.

ذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: ... وفي ذكر الوجه في قوله: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾" قولين: أحدهما: أنَّ المراد منه تحقيق الإضافة؛ لأنَّ ذكر الوجه يرفع الإبهام أنَّه له ولغيره، وذلك أنَّكَ لمَّا ذكرتَ الوجه ومعناه النفس، القول الثاني: أنَّك إذا قلتَ: فعلت هذا لوجه زيد، كان ذلك أشرفَ في الذكر من: فعلتُه له؛ لأنَّ وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه، ثمَّ كثُر حتى صارَ يدل على شرف الذكر في الصفة فقط من غير تحقيق وجه..." [1]، وكلا المعنيين المذكور فيهما تأويل الصفة الكريمة وصرف لها عن معناها الحقيقي لرفع الإبهام تارة، وتارة لمزيد من التشريف، وهذا المنهج وهو الأخذ بظواهر النصوص في الآيات التي يظن أنَّها توهم التشبيه من غير الوقوع في التشبيه، فهو يعتقد أن لله وجهًا لا كوجه العبيد، وهكذا [2].

وقال في قوله تعالى:﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾" قال: ابن عباس –رضي الله عنهما–: يريد: إلَّا ما أريد به وجهه، وهو قول الكلبي قال: كل عمل لغيره فهو هالك، إلَّا ما كان له.؛ وقال سفيان: إلَّا ما قُصد به وجه الله من الأعمال، وهو اختيار الفراء، وأنشد قول الشاعر:

أستغفر الله ذنبًا لستُ مُحصِيه

ربَّ العباد إليه الوجهُ والعملُ

أي: إليه أوجه العمل، وقال مقاتل: يقول كل شيء من الحيوان ميت، ثمَّ استثنى نفسه بأنَّه حي لا يموت؛ فقال: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ يعني: إلَّا هو، ونحو هذا روي عن مجاهد، واختاره الزجاج؛ فقال: ومعنى: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلَّا إيَّاه، وعلى هذا: فالوجه، صلةٌ في الكلام، وقال ابن كيسان: إلا ملكه، والوجه يجوز أن يكون عبارة عن: المُلك؛ لأنَّ

(1)الواحدي، علي: التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ، ص447.

(2) الأشعري، علي: الإبانة عن أصول الديانة تحقيق: فوقية حسين محمود، ج1، القاهرة: دار الأنصار، 1397هـ، ص39.

الوجه من الوجاهة، والمَلك مِنْ أوجه الناس، فسمي المَلِك وجهًا، وهذا معنى قول الضحاك في هذه الآية: كل شيء هالك إلَّا الله، والجنة، والنار، والعرش، والاختيار: القول الأول، وهو الذي يليق بمعنى الآية"[1].

وأشار في قول الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾": بذكر قول أهل المعاني في المراد بالوجه هاهنا وذكر أنَّ لهم قولين: الأول: أنَّ المراد به الذات، أي ويبقى ربك الظاهر بأدلته كظهور الإنسان بوجهه، فالوجه على هذا عبارة عن الظهور، الثاني: ويبقى ربك وهو السيد المعظم، والوجه يذكر بمعنى الشيء المعظم، كقولهم: هذا وجه القوم، ووجه التدبير، أي: التدبير المعظم، ولا يجوز أن يكون الوجه هاهنا صلة لقوله (ذو) بالرفع وهو من صفة الوجه، ولو كان الوجه صلة لقيل: (ذي)، ليكون صفة لقوله تعالى: (ربك)، و(الجلال) عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح بإحسانه وإنعامه، وقال: جلَّ الشيء، أي: عظم، وأجللته: أعظمته، والجلال اسم من جلَّ، والجلال مصدر، قال الأصمعي: ولا يقال الجلال إلا لله تبارك وتعالى [2]، وبمثله قال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (أي إلا طلب ثواب الله).

فالواحدي ذكر المعاني التي ذكرها علماء التفسير واختار منها المعنى الذي استقاه من تفسير العلماء فقال: وجهُ الله ما وُجِّه إليه من الأعمال، كما أوّل صفة الوجه أنَّها تعني (الثواب) فيكون المراد بالوجه في الآيات الثواب، أي: كل شيء يفنى إلا الثواب، وهو بذلك يخالف المنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة.

هذا وقد اختلف المفسرون _ تحديدًا_ في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾" [البقرة:115]، فقال بعضهم: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا أي: إلى أي مكان وليتم وجوهكم عند الصلاة، فَثَمَّ أي: فهناك وجه الله جلَّ جلاله الذي هو صفة من صفاته سبحانه، وقال بعضهم إنَّها ليست من آيات الصفات، وأنَّ المراد هنا الجهة والقبلة، والمعنى: فثمَّ جهة الله؛ أي: فثمَّ الجهة التي يقبل الله صلاتكم فيها[3].

ويذكر الواحدي أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ بقوله قال أكثر المفسرين: "الوجه: صلة، معناه: فثمَّ الله، مشبه له بموضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾" [الحديد: 4]، والمعنى: فثم الله يَعْلَمُ وَيرَى، و(الوجه) ورد صلة مع اسم الله في أكثر من موضع في كتاب الله، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 27]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾" [القصص: 88]، وهذا قول الكلبي وعبد الله بن مسلم، وغيرهم: فثمَّ قبلة الله، والوجه والجهة والوجهة: القبلة،، والعرب تجعل القصد الذي يتوجه إليه وجهًا، وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾" أي: جهة الله التي تعبّدكم بالتوجه إليها، والإضافة تكون للتخصيص نحو: بيت الله، وناقة الله"[4].

وقد اختلف السلفُ في هذه الآية مع إثباتهم لصفة الوجْه، على قولَيْن:

القول الأول: أنَّ ذلك من الصفات، وأنَّ المرادَ بالآية الكريمة وجه الله تعالى الذي هو صفة من صفاته جلَّ جلاله، وقال بذلك طائفة من العلماء قديمًا وحديثًا

(1) الواحدي، علي: التفسير البسيط، ص417

(2) المرجع السابق، ص159

(3) العثيمين، محمد: شرح العقيدة الواسطية، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ط6، السعودية: دار ابن الجوزي، 1421، ص81.

(4) الواحدي، علي: التفسير البسيط، ص257.

منهم:[1] ويؤكد ابن القيم قول هذا الفريق وهو إثبات الصفة على وجه يليق به جلَّ جلاله: ذاكرًا أنَّ هذا القول هو الصحيح في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وفي سائر الآيات التي فيها ذكر للوجه، مؤكدًا أنَّ مجيئ الوجه في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة مضافًا إلى الله –تعالى– ورد كثيرًا، على طريقة واحدة، ومعنى واحد، فليس فيه معنيان مختلفان، كما أشار أنَّ الموضع المذكور في سورة البقرة، وهو قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ لا يمتنع أن يراد به وجه الله حقيقة، فحمله على غير القبلة كنظائره كلها أولى.

القول الثاني: أنَّ ذلك ليس من باب الصفات في شيء، فذكر ابن تيمية: أنَّ هذه الآية الكريمة ليست من آيات الصفات وأنَّ عدَّها من آيات الصفات غلط[2].

وقد اختلف القائلون بالقول الثاني في معنى الآية على أقوال، هي:

القول الأول: أنَّ معناها فثمَّ قبلة الله، قالوا: والوجه يأتي في اللغة بمعنى الجهة، يقال: وِجْهَة ووجه وَجِهَة، وممن رُوي عنه هذا القول: ابن عباس –رضي الله عنهما–[3] كما ذكر الترمذي[4] في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، قولَ مجاهد، قال: "وَيُرْوَى عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي هَذِهِ الآيَةِ: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} قَالَ: فَثَمَّ قِبْلَةُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ، عَنْ مُجَاهِدٍ، بِهَذَا"، وعكرمة والحسن البصري، وقتادة ومقاتل بن حيان، والشافعي واختاره: الواحدي، والزمخشري[5]، وجعل الآية محتملة له وللقول الأول.

قال ابن تيمية[6]: "﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: قبلة الله، ووجهة الله، هكذا قال جمهور السلف، وقال: (الوجه) هو الجهة في لغة العرب، يُقال: قصدت هذا الوجه، وسافرت إلى هذا الوجه، أي: إلى هذه الجهة، وهذا كثير مشهور، وفي قوله تعالى: ﴿وِلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: متوليها، فقوله

(1) انظر:

– ابن إسحاق، محمد: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط5، الرياض: مكتبة الرشد، 1994، ص25.

– ابن الحسين، أحمد: الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، 1417، ص454.

– ابن القيم، محمد: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد البعلي، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة: دار الحديث، 2001، ص413.

– السعدي، عبد الرحمن: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000، ص76.

العثيمين، محمد: أحكام من القرآن الكريم. ط2، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، 1434، ص416.

(2) ابن تيمية، أحمد: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416، ص193.

(3) انظر إلى:

– محمد، عبد الرحمن: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطيب، ط3، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419، ص212.

– ابن أبي شيبة، عبد الله: المصنف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، 1409، ص295.

(4) الترمذي، محمد: السنن، تحقيق: بشار معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998.

(5) انظر إلى:

– ابن الجوزي، عبد الرحمن: زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، 1422، ص104.

– ابن أبي حاتم، عبد الرحمن: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطيب، ط3، السعودية: مكتبة نزار الباز، 1419، ص212.

– الطبري، محمد: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420، ص529.

– البغوي، الحسين: تفسير البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع.، 1417، ص139.

– الشافعي، محمد: (1414هـ). أحكام القرآن، جمع البيهقي، وكتب هوامشه: عبد الغني عبدالخالق.، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1414، 64.

– الواحدي، علي: التفسير البسيط، ص257.

– الزمخشري، محمود: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407، ص179.

(6) ابن تيمية، أحمد: مجموع الفتاوى، ص16.

تعالى: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وكلا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربتان، والآيتان في شأن القبلة، والوجه والجهة هو الذي ذكر في الآيتين: أنَّا نوليه، نستقبله، والخلاف بين الرأي الأول وهذا القول محتملٌ ويسير، والمهمُّ أن نعرفَ أنَّهم جميعًا يُثْبِتُون صفة الوجه لله جلَّ جلاله.

القول الثاني: أنَّ قوله ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ المراد به الله –عزَّ وجلَّ– ليس غيره، وهذا قول المعتزلة، ونُسب للكلبي، واختاره القرطبي [1].

وهناك قول ثالث: يرى أصحابه أنَّ معنى الآية فثمَّ رضا الله وثوابه. حكاه البغوي، والقرطبي، واختاره: الجصاص[2].

والراجح – والله أعلم – أنَّ قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ هو من باب الصفات، وأنَّ المرادَ بالآية الكريمة وجه الله – تعالى– الذي هو صفة من صفاته جلَّ جلاله.

وأوّل الواحدي صفة الوجه في تفسيره بالبسيط فجعلها بمعنى: الذات أو الجهة أو الثواب، مخالفًا بذلك منهج أهل السنة الذين يثبتون الصفة كما وردت دون تأويل، على وجه يليق بالله بلا تمثيل ولا تعطيل.

المطلب الثاني: صفة الوجه له جلَّ جلاله في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة:

من القواعد الثابتة في منهج أهل السنَّة والجماعة أنَّهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم–، من غير تحريفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تعطيلٍ، وينفون عنه سبحانه وتعالى ما نفاهُ عن نفسه، وما نفاهُ عنه رسوله –صلى الله عليه وسلم–، وقد أثبت الله –تعالى– لنفسه صفة "الوجه"، كما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، فأهلُ السنَّة والجماعة يثبتون صفة الوجْه لله جلَّ جلاله من غَيْر تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ومن غير تَحْريفٍ ولا تعطيلٍ، وصفات الله: إمَّا خبرية، وإمَّا فعلية، وإمَّا ذاتية، وصفة "الوجه" من الصِّفات الذاتية الخبَرية التي لا تنفك عنه عزَّ وجلَّ، وضابطها: أنَّ مسماها عند أهل السنَّة جزء وبعض، لكنَّها إذا أضيفت إلى الله – تعالى– إضافة الصفة للموصوف فإنَّها تكون على ما يليقُ به سبحانه وتعالى، فهذه الصفة الجليلة صفة الوجه ثبتت لله بالكتاب والسنَّة، وبإجماع أهل السنَّة والجماعة.

وقد ثبتت صفة الوجه بالكتابِ، والسنَّة، والإجماع:

والوجه صفةٌ ذاتية لله جلَّ جلاله، ثابتةٌ في الكتاب والسنَّة، وأدلتها في القرآن والسنَّة كثيرة جدًّا، وقد ذُكر الوجه في القرآن، وفي السنَّة، وأُضيفت إليه صفات كثيرة، مثل: النور، والسبحات، والبصر، إلى غير ذلك، ومنهج أهل السنَّة في هذه الصفة هو منهجهم في كل الصفات، وهو أنَّ لله –تعالى– وجهًا يليق بجلاله وكماله، كما ذكر ذلك في كتابه، وصحَّ عن رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فهم يثبتونه لله على المعنى اللائق به، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، أمَّا أهل الأهواء فلا يثبتون الوجه لله عز وجل، بل يتأولون في ذلك تأويلات مختلفة، فمنهم من يقول: الوجه هو الذات، ومنهم من يقول: الوجه هو الثواب، إلى غير ذلك

(1) القرطبي، محمد: الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (تحقيق: البردوني وأطفيش). ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384، ص83.

(2) انظر إلى:

– البغوي، الحسين: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420، ص139.

– القرطبي، محمد: الجامع لأحكام القرآن، ص83.

– الجصاص، أحمد: أحكام القرآن، (المحقق: عبد السلام شاهين). بيروت: دار الكتب العلمية، 1415، ص76.

–

من تأويلاتهم الباطلة، وقد أشـــار ابن القيم[1] إلى جزء منها، حيث قال: "وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها".

والوجه في لغة العرب هو: مستقبل الشيء، ويُضاف إلى الزمان، وقد يُضاف إلى المكان، وإلى الحيوان، بمعنى أنَّه يختلف بحسب ما أُضيف إليه في كل موطن، وكما تقول القاعدة المعروفة: الإضافة تقتضي التخصيص [2].

فمن الكتاب: آياتٌ كثيرة منها قوله الله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 272]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 22]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:88]. وقوله تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل:19-20].

ومن السنَّة: فقد جاء في حديث سعد بن أبي وقاص: أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: "إنَّك لن تنفقَ نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أُجِرت عليها"، وحديثِ ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- في الثَّلاثةِ الَّذين حُبِسُوا في الغارِ، فقالَ كُلُّ واحدٍ مِنهم: "اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ وجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنّا ما نَحْنُ فِيهِ مِن هَذِهِ الصَّخْرَة..."[3]، وحديثِ أبي موسى -رضي الله عنه- قَالَ: "قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"[4]، وغيرُها مِنَ الأحاديث الصحيحة.

وجاء في "صحيح البخاري"، من حديث جاب-رضي الله عنه-: "أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمَّا نزل عليه قول الله -تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 9]، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أعوذ بوجهك"[5]، فلو كان الثواب هو المقصود، فهل يصحُّ أنْ يُستعاذ به؟! وهل يُستَعَاذُ بمخلوق؟!

ومن الإجماع: ما ذكره ابن خزيمة في كتاب "التوحيد" بعد أن أورد جملة من الآيات تثبت صفة الوجه لله تعالى: حيث نقل أنَّ إجماع علماء الأمصار [الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر] إثبات ما أثبته الله -تعالى- لنفسه، تصديقًا بالقلب واللسان، من غير تشبيه بأيّ وجه بمخلوقيه، عَزَّ الله أن يُشبه المخلوقين، وجَلَّ ربُّنا عن مقالة المُعَطِّلين، وعَزَّ أَنْ يَكونَ عَدَمًا كما قالهُ المُبطِلُونَ، وهذا هو ما قرَّره أبو بكر، والصابوني[6] حيث ذكر أنَّ هذا الوجه في تفسير جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها السنَّة من السمع.. والوجه.

(1) ابن القيم، محمد: *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة*، ص174.

(2) البدر، عبد الرزاق: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ المقدسي. غراس للنشر والتوزيع، 1424، ص99.

(3) البخاري، محمد: صحيح البخاري (ترقيم محمد فؤاد). دار طوق النجاة، 1422، ج2، ص81، ج3، ص91..

(4) مسلم، ابن الحجاج: صحيح مسلم (المحقق: محمد فؤاد). بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1374، ص161.

(5) البخاري، محمد: ج6، ص56.

(6) انظر إلى:

- أبو بكر الإسماعيلي، أحمد: اعتقاد أئمة الحديث (المحقق: محمد الخميس) الرياض: دار العاصمة، 1412، ص55.

- الصابوني، إسماعيل: (د.ت). عقيدة السلف وأصحاب الحديث (تحقيق: ناصر الجديع). ط2، دار العاصمة، 1419، ص164.

وقد أثبت الله –تعالى– لذاته المقدسة صفة الوجه في أربع عشرة آية من آي الذكر الحكيم، وذكر ابن منده[1] أنَّ من صفات الله –عز وجل– التي وصف بها نفسه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، وقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَام﴾ [الرحمن: 27] ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يستعيذ بوجه الله من النار والفتن، ويسأل به...، ثمَّ سرد أحاديث بسنده، ثمَّ قال: "بيان آخر يدل على أنَّ العباد ينظرون إلى وجه ربهم عزَّ وجلَّ" ، وسرد بسنده ما يدل على ذلك.

وقال البغوي[2] في شرح السنَّة: "كل ما جاء به الكتاب أو السنَّة من هذا القبيل في صفات الله –سبحانه وتعالى–؛ كالنفسِ، والوجهِ، والعينِ، واليدِ، والرجلِ، والإتيانِ، والمجيءِ، والنزولِ إلى السماء الدنيا، والاستواءِ على العرش... فهذه ونظائرها صفاتٌ لله –عزَّ وجلَّ–، ورد بها السمع، فيجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها، معرضًا فيها عن التأويل، مجتنبًا عن التشبيه، معتقدًا أنَّ الباري سبحانه وتعالى لا يُشبه شيءٌ من صفاته صفات الخلق، كما لا تُشبه ذاته ذوات الخلق؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وعلى هذا مضى سلفُ الأمةِ وعلماءُ السنَّة، تلقَّوها جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنَّبوا فيها عن التمثيلِ والتأويلِ، ووكلوا العلمَ فيها إلى الله عز وجل".

ويذهب قوام السنَّة الأصبهاني[3] إلى إثبات وَجه الله –عَزَّ وَجَلَّ– الَّذِي وَصفه بالجلال والإكرام والبقاء فِي قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَام﴾، وكذا قول الله لنَبيه مُحَمَّد –صلى الله عليه وسلم–: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والعشي يُرِيدُونَ وَجهه﴾، وَقَالَ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجه الله﴾ وَقَالَ تعالى: ﴿للَّذين يُرِيدُونَ وَجه الله﴾ وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا نطعمكم لوجه الله﴾ وَقَالَ تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاء وَجه ربه الْأَعْلَى﴾.

والنصوص الكريمة الواردة في إثبات هذه الصفة له جلَّ جلاله من الكتاب والسنَّة كثيرة لا تُحصى كثرة، وكلها تنفي تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق أنَّ الوجه صفة غير الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركبًا من أعضاء، كما تقول المجسمة، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يشبه وجهًا ولا يشبهه وجهٌ، يقول السفاريني[4]: ومذهب السلف الأول، والرعيل الذي عليه المعول أنَّ الوجه صفةٌ ثابتة لله تعالى. ويبطل مذهب أهل التأويل ما قاله الإمام الحافظ البيهقي، والخطابي في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27] فأضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ ولو كان ذكر الوجه ولم يكن صفة للذات لقال: (ذي الجلال)، فلما قال: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ علمنا أنَّه نعتٌ للوجه صفة للذات، فالوجه صفة من صفات الله

(1) ابن منده، محمد: (1423هـ). كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله – عز وجل– وصفاته على الاتفاق والتفرد. (تحقيق: الفقيهي). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1423، ص63.

(2) البغوي، الحسين: (1403هـ). شرح السنة (تحقيق: الأرناؤوط والشاويش). ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1403، ص168.

(3) الأصبهاني، إسماعيل: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (المحقق: محمد المدخلي). ط2، الرياض: دار الراية، 1419، ص215.

(4) السفاريني، محمد: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. ط2، دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، 1402، ص226.

العلي، وصف بها نفسه؛ فعلينا أن نصدق ربنا، ونؤمن بما وصف به نفسه، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق، فهو وجه لا يشبه أوجه المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وقد أثنى سبحانه على هذه الصفة ثناءً خاصًّا لم يثن به على صفة غيرها؛ حيث قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، والذي يثبت من خلال أقوال علماء السلف أنَّ صفة الوجه ثابتةٌ لله عز وجل، من صفات ذاته، ثبتت بالكتاب والسنَّة، وأجمع السلف على إثباتها لله من غير تشبيه ولا تكييف ولا تأويل، وجهٌ يليق بجلال الله وعظمته، وقد أنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله جلَّ وعلا وجهٌ، أما الأشاعرة فإنَّ متقدميهم كالأشعري في الإبانة، والباقلاني[1] في التمهيد أثبتوا ذلك صفة لله عزَّ وجلَّ من غير تأويل، وردوا على المؤولين قولهم، أمَّا المتأخرون من الأشاعرة كالغزالي والجويني في غير النظامية والآمدي والشهرستاني وغيرهم فاتبعوا قول الجهمية والمعتزلة في تأويلها[2].

والحاصل أنَّ صفة الوجه ثابتة لله عزَّ وجلَّ، وهي من صفات ذاته جلَّ وعلا ثبتت بالقرآن والسنَّة، وأجمع السلف على إثباتها لله من غير تشبيه ولا تكييف ولا تأويل، وجهٌ يليق بجلال الله وعظمته، وقد أنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله جلَّ وعلا وجهٌ، وأثبت ذلك أيضًا صفةً لله عزَّ وجلَّ من غير تأويل، متقدمو الأشاعرة كالأشعري في الإبانة والباقلاني في التمهيد وردوا على المؤولين قولهم، وأيضًا أثبت الجويني هذه الصفة في العقيدة النظامية ومنع التأويل والخوض في المعنى اتباعًا للسلف، أمَّا المتأخرون من الأشاعرة كالغزالي والجويني في غير النظامية والآمدي والشهرستاني وغيرهم فاتبعوا قول الجهمية والمعتزلة في تأويلها[3].

المبحث الثاني: صفة اليد عند الواحدي، في ضوء أهل السنَّة والجماعة:

المطلب الأول: صفة اليد عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط:

من الصفات التي أولَّها الواحدي في تفسيره البسيط صفة اليدين متبعًا في ذلك من سبقه من أئمة الأشاعرة المتأخرين:

وقد ذكر الواحدي: أنَّ اليد تأتي في اللغة على خمسة أوجه: الجارحة، والنعمة، والقوة، والمِلك، وتحقيق إضافة الفعل، تقول: لفلان عندي يد أشكره عليها، أي نعمة، وتُطلق اليد ويراد بها النعمة، قال الله تعالى: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45]، وتأتي بمعنى الملك كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: 237]، أي يملك النكاح، وأيضًا تأتي بمعنى التولي للشيء وتحقيق إضافة الفعل، كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75] أي لمَا توليتُ خلقه تخصيصًا لآدمَ وتشريفًا بهذا، وتستعمل أيضًا ويراد بها النصرة، وذلك فيما رُوي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنَّه قال: "وهم يدٌ على من سواهم"[4] أي نصرتهم واحدة، وكلمتهم مجتمعة على من

(1) انظر إلى:
– الأشعري، علي: الإبانة عن أصول الديانة، ص120.
– الباقلاني، محمد: (1957م). التمهيد (تحقيق: اليسوعي). بيروت: المكتبة الشرقية، 1957، ص258.

(2) ابن حزم، علي: الفصل في الملل والأهواء والنحل. القاهرة: مكتبة الخانجي، د ت، ص127.

(3) العمراني، يحيى: حاشية الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، (المحقق: سعود الخلف). الرياض: أضواء السلف، 1419، ص626.

(4) أنظر إلى:
– مسلم، ابن الحجاج: صحيح مسلم.
– البخاري، محمد: صحيح البخاري، ص182.

شـقَّ عصـاهم، وتأتي بمعنى اليد للشـيء الذي لا يد له تشـبيهًا بمن له اليد، قال ابن الأعرابي: يد الدهر: الدهر كله، يقال: لا آتيه يد الدهر، ولد المسـند....إلى أن قال: وقد تستعمل اليد وتستعار في مواضع كثيرة يطول بذكرها الكلام[1].

كما أوّل الواحدي التثنية التي في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ﴾ بالجود على خلاف ما عليه المحققون من أهل السنَّة والجماعة إثبات صفة اليد لله –عزَّ وجلَّ– كما دلت عليه هذه الآية وغيرها على ما يليق بجلال الله وعظمته، فقال: ومعنى التثنية في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ﴾ المبالغة في الجود والإنعام، وهذا طريق في معنى الآية صـحيح. ثمَّ قال: وذهب بعض أهل اللغة أنَّ معنى اليد في هذه الآية النعمة، وقال في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ معناه: نعمة الله مقبوضة"[2].

والعجب من الواحدي أنَّه ذكر من أنكر ذلك التأويل، ومع ذلك لم يأبه بتقريرهم، وتعلَّق بما عليه الأشـاعرة من التأويل، فهؤلاء الأئمة أنكروا هذا القول، فقال: "وأنكر أبو عبيد والزجاج وابن الأنباري هذا القول، فقال أبو عبيد: من قال هذا فقد زعم أنَّه ليس لله على العباد إلَّا نعمتان، لأنَّه يلزمه أن يقول في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ﴾ أي: نعمتاه، وقال الزجاج: هذا القول خطأ، ينقضـه ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ﴾، فيكون المعنى: نعمتاه مبسـوطتان، ونعم الله أكثر من أن تُحصى، وقال أبو بكر: هذا القول محالٌ في هذه الآية، لأنَّ نعمَ الله تعالى لا يُحاط بعددها، وآلاءَهُ تفوق الإحصـاء، فكيف يقول: نعمتاه مبسـوطتان، فيوقع التثنية في الشـيء الذي يُقَصِّـر كل جمع عنه. والدليل على ما نَصِف قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: 34). انتهت الحكاية عنهم"[3].

ومن الآيات التي تعرَّض لها الواحدي في تفسـيره والتي تتعلق بصـفة اليدين قوله تعالى: "﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فذكر أنَّ أكثر المفسـرين قصـدوا بهذه الآية أي يد الله بالوفاء لهم بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء والعهد حين بايعوك، ثمَّ عزى القول لابن عباس رضـي الله عنه ومقاتل، وهو اختيار الفراء ومعناه: الله أوفى منهم، وذكر قول الكلبي أنَّ المراد بيد الله –جلَّ جلاله– نعمة الله عليهم فوق ما صـنعوا، واختار هذا القول من اللغويين الزجاج؛ حيث ذكر أنَّ معنى الآية هنا: المنة والهداية فيد الله بالهداية فوق أيديهم في الطاعة، أي: إحسـان الله –تعالى– إليهم بأن هداهم للإيمان أبلغُ وأتمُّ من إحسـانهم إليك بالنصـرة والبيعة. وقريبًا من ذلك قال ابن كيسـان وابن عباس في رواية عطاء، والمعنى على هذا: ثق بنصرة الله لك، لا بنصرتهم وإن بايعوك[4].

وأوَّل الواحدي صـفة اليد بالنعمة والقوة والجود، مخالفًا منهج أهل السـنة الذين يثبتونها كما وردت، على وجه يليق بالله، دون تشـبيه أو تعطيل، معتبرين التثنية دليلًا على حقيقتها.

المطلب الثاني: صفة اليد في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة:

من الثابت المقرر عند أهل السـنَّة والجماعة أنَّ منهجهم في صـفات الله الذاتية والفعلية واحد، ويقولون: باب الصـفات واحد، فيثبتون ما ثبتَ في الكتابِ والسـنَّة، ويؤمنون به، بلا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل،

(1) الواحدي، على: التفسير البسيط، ص454.

(2) المرجع السابق، ص459.

(3) المرجع السابق، ص460.

(4) الواحدي، على: التفسير البسيط، ص291.

ويعتقدون أنَّ لله يدين حقيقيتين تليقان بجلال الله تعالى، ولا تماثلان أيدي المخلوقين، وهما من صفات الله تعالى الذاتية، الثابتة له بالكتاب والسنَّة وإجماع السلف كما دلَّت على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسنَّة كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

والأحاديث الدالة على إثبات اليدين لله جلَّ جلاله كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. منها: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: "إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[1]، ومنها حديث أنس في ذكر الشفاعة، وفيه: أنَّ المؤمنين يقولون لآدم: "خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ"[2]. ومنها قول ابن عمر –رضي الله عنهما–: "خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده: العرش، وجنَّات عدن، والقلم، وآدم، ثم قال لسائر الخلق: "كن فكان"[3]، وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. وله حكم الرفع.

وذكر أبو حنيفة[4] أنَّ لله تعالى يدًا ونفسًا: "وله يدٌ ووجهٌ ونفسٌ كما ذكره سبحانه وتعالى في القرآن، فما ذكره في كتابه من ذكر الوجهِ واليدِ والنفسِ فهو له صفاتٌ بلا كيف، ولا يُقال إنَّ يده قدرته أو نعمته؛ لأنَّ فيه إبطال الصفة، وهو قولُ أهل القدر والاعتزال، ولكنَّ يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته سبحانه وتعالى بلا كيف".

وقد عقد الأشعري[5] بابًا ذكر فيه معتقد هؤلاء الأخيار، وما أجمعوا عليه من أصول الدين، وعدّها واحدًا وخمسين إجماعًا، وذكر منها الإجماع السابع: يثبت فيه صفة السمع والبصر لله عزَّ وجلَّ، ثمَّ تكلَّم عن ثبوت صفة اليدين للذات العليَّة، وأبطل حجة من زعم أنَّ اليد بمعنى النعمة، كما ذكر أنَّ الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة وأنَّ السماوات مطويات بيمينه، ونزَّه الله جلَّ جلاله عن التشبه بالخلق في كون المراد باليد الجارحة، رافضًا تأويلها بالنعمة، وقد ذكر الطبري[6] في تفسيره أقوال المؤولين في صفة اليد، ورجَّح مذهب السلف بأنَّها صفة من صفات الله جلَّ وعلا، وهي يدٌ غير أنَّها ليست بجارحة كجوارح بني آدم.

وذكر البغوي[7] عند تفسير آية المائدة حول اليد وكونها صفة من صفات ذاته تعالى كالسمع والبصر والوجه، وذكر قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75]، وحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كلتا يديه يمين"، مع توجيهه بأنَّه يلزم مع هذه الصفات التسليم بحقيقتها بقوله: الله أعلم بالمراد بها، ونقل قول أئمة السلف من أهل السنَّة في هذه الصفات: أقروها كما جاءت بلا كيف، وهذا هو المقرر عند علماء السنَّة فيما يختص بالكلام صفات الله.

ونوَّه شيخ الإسلام ابن تيمية [8] بعد أن ذكر وجوب الإيمان بصفة اليد وعدم تأويلها ونقل كلام المتقدمين من سلف الأمة قال مستدلًا على إبطال المذاهب المؤولة لهذه

(1) مسلم، ابن الحجاج: صحيح مسلم، ص1458.

(2) البخاري، محمد: صحيح البخاري، ج4، ص143.

(3) البيهقي، أحمد: الأسماء والصفات (تحقيق: عبد الرحمن عميرة). بيروت: دار الجيل، 1417، ص693.

(4) أبو حنيفة، النعمان: (1419هـ). الفقه الأكبر، الإمارات العربية: مكتبة الفرقان، 1419، ص27.

(5) الأشعري، علي: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (المحقق: عبدالله الجنيدي)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1413، ص57.

(6) الطبري، محمد: جامع البيان في تأويل القرآن، ص252.

(7) البغوي، الحسين: تفسير البغوي، ص769.

(8) ابن تيمية، أحمد: مجموع الفتاوي، ص90.

الصفة وغيرها من الصفات بأنَّ منهج الصحابة الكرام قولًا وعملًا يناقض مذاهب التأويل، فقد حمل الصحابة والتابعون ومن بعدهم النصوص على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل مقبولًا لسبقنا إليه هؤلاء، وهم أورع الخلق وأقربهم لرسول –صلى الله عليه وسلم– لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.

ولا يصح تحريف معنى اليدين إلى القوة، أو النعمة، أو نحو ذلك كما ذكر الواحدي وغيره من الأشاعرة، وقد تعرَّض لهم الباقلاني[1] في التمهيد وردَّ عليهم بعد حكايته لقولهم بأنَّ قولهم هذا باطل؛ لأنَّ قوله "بيدي" يقتضي إثبات يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان...، وينقل الباقلاني إجماع المسلمين من مثبتي الصفات والنافين لها، على استحالة أن يكون له سبحانه وتعالى قدرتان، فهذا يُبطل قولهم، وأيضًا لا يحتمل مع قولهم إجراء الآيات التي تسند خلق آدم ليدي الله؛ إذ لا يتصور أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله –تعالى– على آدم وغيره لا تُحصى.

وقال المقدسي[2]: "ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين: اليدان.... ولا نتأول اليدين على القدرتين كما يقول أهل التعطيل والتأويل بل نؤمن بذلك ونثبت له الصفة من غير تحديد ولا تشبيه. ولا يصح حمل اليدين على القدرتين، فإنَّ قدرة الله _ عزَّ وجلَّ_ واحدة، ولا على النعمتين، فإنَّ نعمَّ الله _ عزَّ وجلَّ_ لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾، وكل ما قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه، وصحَّ عن رسوله بنقل العدل عن العدل".

ويرى الخطابي[3] أنَّه ليس فيما يُضاف إلى الله سبحانه من صفة اليدين أن تكون إحدى يديه شمالًا كما ترى المؤولة، فالشمال محل النقص والضعف، وقال ابن خزيمة في كتابه "السنَّة": مذهبنا مذهب أهل الآثار، ومتبعي السنن، ولا نلتفت إلى جهل من يسميهم مشبهة، إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه، فنحن نقول: إنَّ لله جلَّ وعلا يدين كما أخبرنا – عزَّ وجلَّ– في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقول: كلتا يديه – عزَّ وجلَّ– يمين، كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم، وإنَّ الله – عزَّ وجلَّ– يقبض الأرض جميعًا بإحدى يديه ويطوي السماء بيده الأخرى، وكلتا يديه –جلَّ وعلا– يمينٌ لا شمال فيهما".

وقد وردت صفة اليد لله على ثلاثة أوجه: بالإفراد كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: 1]، وبالتثنية كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، وبالجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: 71]، والتوفيق بين هذِه الوجوه أنَّ الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يدٍ، ولا ينافي التثنية أو يعارضها، وبالنسبة للجمع في أيدينا فإنَّما هو للتعظيم لا لحقيقة العدد المعروف لدينا بأنَّ الجمع هو ثلاثة فأكثر، وحينئذٍ لا ينافي التثنية، على أنَّه قد قيل إنَّ

(1) الباقلاني، محمد: التمهيد، ص209.

(2) المقدسي، عبد الغني: الاقتصاد في الاعتقاد (المحقق: أحمد الغامدي). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1414، ص117.

(3) الخطابي، حمد: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (المحقق: محمد آل سعود)، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1409، ص2347.

أقل الجمع اثنان -كما ذهب إليه المصنف- فإذا حُمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلًا[1].

وفي تأويل اليد بالقدرة إبطال لما اختص الله به بعض مخلوقاته تفضيلًا لهم على غيرهم، كاختصاصه آدم -عليه السلام- بأن خلقه بيده، والقول بأنَّ المقصود باليد القدرة، فيه مساواة بين آدم عليه السلام وإبليس لعنه الله، في هذا الأمر، لأنَّ الله -جلَّ وعلا- خلق إبليس أيضًا بقدرته، فلا معنى حينئذٍ لتخصيص آدم بأنَّه كان بيد الله؛ لأنَّ إبليس يعلم هذه الخصيصة لآدم، وإلَّا لاحتج -لعنه الله- على الله تعالى حين قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:75]، بأنَّه خلقه أيضًا بيديه كما خلق آدم، إذا كان معنى (بيدي): بقدرتي، إلا أنَّ إبليس (لعنه الله) كان أكثر إدراكًا لهذه الحقيقة من المعطلة.

والقول بتأويل اليدين بالقدرتين أو النعمتين غير جائز، لأنَّ التثنية في {بِيَدَيَّ} يبطل القول بالتأويل أيضًا، لأنَّ التشديد تحقيق في التثنية، وتخصيص التثنية في نعم الله وقدرته ليس له معنى يصح؛ لأنَّ قدرة الله واحدة لا حدود لها، ونعمه كثيرة لا تُحصى، فلا يصح تأويل {بِيَدَيَّ} بقدرتي أو بنعمتي؛ لعدم جواز انحصار قدرة الله ونعمه في عدد[2].

ولابن القيّم[3] رد جميل على من أولَّ اليد بالنعمة أو القدرة أو نحو ذلك؛ حيث ذكر بداية أنَّ الأصل في الكلام الحقيقة، فدعوى المجاز مخالف للأصل، فالأولى أن يُصار للأصل وعند استحالته يُصار للمجاز، وما ذُكر من تأويل لصفة اليد بالتأويلات المذكورة كالنعمة والقدرة ونحوهما هو خلاف الظاهر فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى؛ ثمَّ إنَّ اطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز، ثمَّ إنَّ مثل هذا المجاز لا يُستعمل إلا مفردًا أو مجموعًا ولا يُستعمل بلفظ التثنية، والتركيب المذكور في قوله تعالى: (خلقت بيدي) يأبى حمل الكلام على القدرة؛ لأنَّ الله تعالى نسب الخلق إلى نفسه سبحانه، ثمَّ عدَّى الفعل إلى اليد ثمَّ ثناها ثمَّ أدخل عليها الباء. وعدَّد ابنُ القيم -رحمه الله- ورود لفظ اليد في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة وكلام الصحابة والتابعين وأوصلها إلى أكثر من مئة موضع، ورودًا متنوعًا متصرفًا مقرونًا بما يدل على أنَّها يد حقيقية من الإمساك والقبض والبسط والمصافحة والخلق باليدين، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه.

المبحث الثالث: صفة العين عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط، في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة:

المطلب الأول: صفة العين عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط:

فهم الواحدي -كغيره من أئمة الأشاعرة- من إثبات كثير من صفات الله تعالى تشبيه الله بخلقه، ورأى أنَّ ذلك يُخالف التنزيه، فقام بتحريف نصوصها بشتى التأويلات المتكلفة، ومن أمثلة ذلك تأويله لصفة العينين الثابتة لله جلَّ جلاله.

فقال في قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود 37]: قال ابن عباس -رضي الله عنه-: بمرأى منَّا، وقال الضحاك: بمنظر منَّا، وقال الربيع: بحفظنا، وقال الزجاج: بإبصارنا إيَّاك وحفظنا لك. هذا كلامهم، والمعنى

(1) ابن تيمية، أحمد: مجموع الفتاوي، ص45-46.

(2)البيهقي، أحمد: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (المحقق: أحمد عصام). بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1401، ص88.

(3) ابن القيم، محمد: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص391.

بحيث نراها، فكنى على طريق البلاغة عن (يرى) بأعين، وتأويله: بحفظنا إيَّاك حفظ من يراك، ويملك دفع السوء عنك، وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بك، وحكى ابن الأنباري عن بعض المفسرين: بأبصارنا إليك، وهذا معنى ما ذكرنا، هذه طريقة المحققين، وهي موافقة لما حكينا من أقوال أئمة المفسرين. وقال أبو بكر: جمع العين هاهنا على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، وهذا قول أصحاب الأثر والنقل، يقولون: الأعين يُعنى بها العين، وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدًا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها، وهذه طريقة السلف[1].

بينما يرى في قوله تعالى: ﴿عَلَى عَيْنِي﴾ [طه 39] أنَّ المفسرين في تفاسيرهم رأوا معنى آخر ليس هناك مانع منه وهو أنَّ المراد: (مرأى مني)، لكن يشوش على هذا القول- على حد قول الواحدي- في ترجيح هذا المعنى أنَّه لا يكون في هذا تخصيص لموسى، فإنَّ جميع الأشياء بمرأى من الله لا يغيب عن رؤيته شيء، ثمَّ رجَّح قول قتادة: "لتغذى على محبتي وإرادتي"، وهو اختيار أبو عبيدة وذكره فقال: "أي لتربي وتغذي على محبتي وما أريد. قال: والعرب تقول: اتخذه لي على عيني، أي على محبتي"، وقال ابن الأنباري: العين في هذه الآية يُقصد بها قصد الإرادة والاختيار، ومن قول العرب: غذى فلان على عيني أي على المحبة مني والإشفاق، وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: 14]: وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، أنَّ قول المفسرين وأهل المعاني: بمنظر ومرأى منَّا وحفظ[2].

وعند تفسير آيات "العين"، ينقل الواحدي أقوال السلف، لكنه يميل إلى تأويلها بمعاني الحفظ والرعاية والمراقبة، معتبرًا "العين" كناية بلاغية تدل على الإحاطة، وليس إثباتًا للصفة على ظاهرها.

المطلب الثاني: صفة العين في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة:

مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها من الصفات هو إثبات الصفة وتفويض الكيفية إلى الله تعالى، كما قال الإمام مالك، في صفة الاستواء: الاستواءُ معلومٌ والكيفُ مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة، أمَّا المبتدعة فمذهبهم أنَّهم لا يثبتون الصفة بل يفوضونها، وما نقله المؤلف هنا ظاهره الحق، ولكنَّه لا يتسق مع مذهبه الأشعري فلعلَّه فهم منه التفويض والله أعلم[3].

وصفة العينين ثابتة لله تعالى كما يليق بكماله، ولا يوجد واحد من الأولين من الصحابة نفى عن الله -تعالى- صفة العينين، ومذهب السلف إثبات العينين لله تعالى حقيقة على ما يليق بذاته وعظمته لا كأعين المخلوقين؛ ويدل على إثباتها حديث الدجَّال، فقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّه أعور وإنَّ ربَّكم ليس بأعور" وهذا منطوق صريح وليس مفهومًا، فهي صفةٌ ذاتيةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ بالكتاب والسنَّة، وأهل السنَّة والجماعة يعتقدون أنَّ الله يبصر بعين، كما يعتقدون أنَّ الله -عَزَّ وجلَّ- له عينان تليقان به؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

الدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود/37]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39]، وقوله تعالى:

(1) الواحدي، علي: التفسير البسيط، ص410.

(2) المرجع السابق، ص398.

(3) البيهقي، أحمد: الأسماء والصفات، ص41.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]، وقد عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه باب قول الله –تعالى–: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وقوله جلَّ ذكره: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ثمَّ روى بإسناده إلى نافع عن عبد الله قَالَ: "ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ – وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ– وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ"[1].

وأسند إلى قتادة قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ"[2]، ففي هذه الآيات الكريمات إثبات العينين لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته؛ لثبوتها بالكتاب والسنَّة وإجماع أهل الحق والصواب،... والعينان من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله، وأمَّا إفرادها في بعض النصوص وجمعها في بعض آخر فلا حجة للمبتدعة في ذلك على نفيها، ولغة العرب متنوعة في إفراد المضاف وتثنيته وجمعه بحسب أحوال المضاف إليه، فإن أضافوا الواحد المتصل إلى مفرده أفردوه وإن أضافوه إلى اسم جمع ظاهر أو مضمر فالأحسن جمعه مشاكلة للفظ كقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ وإن أضيف إلى ضمير جمع جمعت كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: 71]، وإن أضافوه إلى اسم مثنى فالأفصح في لغتهم جمعه كقوله: ﴿قد صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم 4]، وفي هذه الآية إثباتٌ لصفة العينين لله –تعالى– بما يليق به، دون تشبيه بخلقه أو تكييف لذاته، كما ثبت ذلك بالسنَّة، وأجمع عليه سلف الأمة، وورد اللفظ هنا بصيغة الجمع للتعظيم[3].

وقال فضيلة الشيخ الغنيمان[4] في شرحه لكتاب التوحيد للبخاري: "قد دلَّ كتاب الله –تعالى– وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) صراحة، وإجماع أهل العلم بالله والإيمان به، على أنَّ الله –تعالى– موصوف بأنَّ له عينين، حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته. وقد جاء ذكر العين وصفًا لله –تعالى– في القرآن مفردة، مضافة إلى الضمير المفرد، كما جاءت مجموعة، مضافة إلى ضمير الجمع. ولم يأت ذكر العين وصفًا لله جلَّ جلاله في القرآن مثناة، ولكن جاء ذلك في الحديث عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وإذا صحَّ الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وجب الإيمان بما دلَّ عليه، والعمل به.

وذكر الدارمي[5] في رده على المريسي في تأويل قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ الله ليس بأعور" بيان أنَّه عزَّ وجلَّ بصيرٌ ذو عينين، خلاف الأعور..، وقد احتجَّ السلف على إثبات العينين لله عزَّ وجلَّ بقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14]، فبين ابن خزيمة في التوحيد في "باب ذكر إثبات العين لله –عزَّ وجلَّ– أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بيَّن أنَّ لله عينين، وهذا موافق لبيان الله عزَّ وجلَّ جلاله.

(1) البخاري، محمد: صحيح البخاري، ص121.

(2) البخاري، محمد: صحيح البخاري، ص121.

(3) نخبة من أساتذة التفسير: التفسير الميسر. ط2، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1430، ص525.

(4) الغنيمان، عبد الله: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. المدينة المنورة: مكتبة الدار، 1405، ص281.

(5) الدارمي، عثمان: نقض الإمام أبي سعيد الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد (المحقق: رشيد الألمعي). مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1418، ص327.

وممن صرح بذلك إثباتًا واستدلالًا الأشعري[1] في كتبه كلها، فقال في المقالات والموجز والإبانة وهذا لفظه فيها: وجملة قولنا أنَّ نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله... إلى أن قال: وإنَّ الله مستوٍ على عرشه، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، وأنَّ له وجهًا، كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، وقال أيضًا: وأنَّ له يدين كما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64] وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [الزمر: 75]، وقال: وأنَّ له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14] فهذا الأشعري والناس قبله وبعده ومعه لم يفهموا من الأعين أعينًا كثيرة على وجه.

كما أنَّ إثبات العينين لله –تعالى– هو قول أئمة أصحاب الأشعري، ومن أشهرهم وأمثلهم أبو بكر بن الطيب الباقلاني. حيث ذكر في كتاب الإنصاف في بيان صفات الله تعالى: أنَّ الله –تعالى– نص على إثبات أسمائه وصفات ذاته... ثم ذكر جملة من الصفات إلى أن قال: والعينان اللتان أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39].[2]

قال ابن خزيمة في "كتاب التوحيد" بعد أن ذكر جملة من الآيات تثبت صفة العين: "فواجبٌ على كل مؤمن: أن يُثبت لخالقه وبارئه ما أثبته الخالق البارئ لنفسه من العين، ومن ينفي عن الله –تبارك وتعالى– ما قد أثبته الله في محكم تَنْزيله، فهو غير مؤمن ببيان النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي جعله الله مبيِّنًا عنه عَزَّ وجلَّ في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. فبين النبي –صلى الله عليه وسلم– أنَّ لله عينين، فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التَنْزيل، الذي هو مقروء في المحاريب والكتاتيب، وذكر أنَّ مذهبه للمولى –جلَّ جلاله– عينين يُبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى[3].

وذكر ابن القيم[4]: أنَّ ذكر العين مفردة لا يدل على أنَّها عين واحدة، وإنَّما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرًا، أو مضمرًا فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ كقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة هود:37].

وقد خالف متأخرو الأشاعرة إمامهم في إثبات صفة العين فأوَّلوها بأنواع من التحريفات وعطَّلوها، وقد فصَّل ابن القيم[5] في الصواعق المرسلة القول في المسألة ونقل كلام الأشعري من كتبه، حيث ذكر أنَّ دعوى الجهمي أنَّ ظاهر القرآن يدل على أنَّ لله أيادي كثيرة على جنب واحد، وأعينًا كثيرة على وجه واحد، ولا يدل ظاهر القرآن ولا باطنه على ذلك بوجه ما، ولا فهمه من له عقل، ولو كان ذلك ظاهر القرآن لكان المخبر به منفرًا للمدعوين عن الإيمان بالله ورسوله، ومطرقًا له إلى الطعن عليه.... وفي نطق القرآن والسنَّة بذكر اليد مضافة إليه سبحانه مفردة ومثناة ومجموعة. وبلفظ العين مضافة إليه مفردة ومجموعة، ونطقت السنَّة بإضافتها إليه مثناة، ثمَّ ذكر معتقد أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا أنَّ لله وجهًا بلا كيف، ويدين وعينين بلا كيف، كما قاله الله –عزَّ وجلَّ– أو جاءت به الرواية عن رسول الله –صَلَّى اللهُ

(1) الأشعري، علي: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. ط3، ألمانيا، دار فرانز شتايز، 1400، ص121.

(2) الباقلاني، محمد: التمهيد، ص23.

(3) ابن خزيمة، محمد: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (المحقق: عبد العزيز الشهوان). ط5، الرياض: مكتبة الرشد، 1414، ص97–113.

(4) ابن القيم، محمد: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص255.

(5) المرجع السابق، ص254–261.

عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ-، وقال في فصـــل "هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنَّة": (وأنَّ له عينين بلا كيف)، كما أنَّه عدَّ إنكار العينين لله من أقوال المعتزلة التي خالفوا بها أهلَّ السنَّة، فقال في سياق أقوال المعتزلة في "قصـــل قولهم في العين واليد": فمنهم من أنكر أن يُقال: لله يدان، وأنكر أن يُقال: إنَّه ذو عين، وأنَّ له عينيين".

المبحث الرابع: صـــفة العجب عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط، في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة:

المطلب الأول: صـــفة العجب عند الواحدي من خلال تفسيره البسيط:

قال الواحدي [1]: "في قول الله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:30] الله لا يتعجب من شـــيء، وهذا التعجب إنَّما هو راجع إلى الخلق، ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم، والله -تعالى- عجيب نبيه من تركهم الحق وإتيانهم الباطل في زعمهم".

ويذكر في معرض تفسـيره لقول الله جلَّ جلاله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْـخَرُونَ﴾ [الصـافات: 12] ويقول: إنَّ الله لا يعجب من شـيء، إنَّما يعجب من لا يعلم؛ قال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كان شريح يعجب بعلمه، وكان عبد الله أعلمَ منه، وكان يقرأ: (بل عجبتُ)، وذكر أنَّ أصل العجب في اللغة أنَّ الإنسان إذا رأى ما ينكره، ويقل مثله، قال: عجبت من كذا وكذا، وكذلك إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جلَّ جلاله جاز أن يقول: عجبتُ، والله جلَّ جلاله قد علم الشـــيءَ قبل كونه، ولكنَّ الإنكارَ والعجبَ الذي به تلزم الحجة عند وقوع الشيء.

وذكر أنَّه قد ثبت جواز إضافة العجب إلى الله، وهو على وجهين: عجب مما يرضـــى، وعجب مما يكره، فالعجب مما يرضـى معناه في صـفة الله الاستحسـان، وأخبر عن تمام الرضـــى، والعجب بما يكره الإنكار والذم له، وذهب قوم إلى أنَّه لا يجوز العجب في وصـــف الله، وقالوا في قوله: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: 5] أي: فعجب عندكم، ثمَّ يذكر في قوله جلَّ جلاله: ﴿أَسْـــمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِـــرْ﴾ [مريم: 38] معناه أنَّ هؤلاء مما [يقولون أنتم فيه هذا النحو من الكلام، وكذلك قوله: ﴿فَمَا أَصْـــبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175]. عند من لم يجعل اللفظ على الاســـتفهام،... حتى قال: قالوا: ولا يجوز العجب في وصـــف القديم "وهذا الوصـــف لله – جلَّ وعلا- بالقديم مما أدخله المتكلمون في أســـماء الله تعالى وليس من أسـمائه الحسـنى، لأنَّ القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره، وقد جاء الشـرع المطهَّرُ باسـمه الأول، وهو أحســـن من القديم؛ لأنَّه يُشـــعر أنَّ ما بعده آيل إليه"[2]، كما يكون في وصف الإنسان؛ لأنَّ العجب منَّا إنَّما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه، وهذا منتفٍ عن القديم سبحانه وتعالى، وهذا مذهب المعتزلة. ومذهب أهل السنَّة أنَّ العجب قد ورد مضافًا إلى الله في كثير من الأخبار كما روى: "عجب ربكم من إلِّكُم وقنوطكم، وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة" ومعناه ما ذكرنا. والعجب الذي ذكروا أنَّه لا يجوز في وصـــف الله لا نُجوِّزه نحن، ولكن من حيث اللفظ ورد العجب في وصـــفه، وتأويله ما ذكرنا، ثمَّ ذكر أنَّ معنى الآية على قراءة من قرأ بالضـــم وأنَّ فيه قولين، فمن أجاز إضـــافة العجب إلى الله على معنى الإنكار، كان تأويل الآية أنَّ الله -تعالى- ذكر

(1) الواحدي، علي: التفسير البسيط، ص384.

(2) ابن أبي العز، علي: (1426هـ). شرح العقيدة الطحاوية (تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: الألباني). مصر: دار السلام، 1426، ص68.

إنكاره عليهم ما هم فيه من الكفر والتكذيب، وسخطه عليهم وهم يسخرون ويستهزئون ولا يتفكرون [1].

فمنهج الواحدي في صفة العجب يقوم على نفي الظاهر، وتأويله بمعاني الاستحسان أو الإنكار بحسب السياق، على طريقة العرب، موافقًا لمذهب الأشاعرة في التنزيه والتأويل.

المطلب الثاني: صفة العجب في ضوء منهج أهل السنَّة والجماعة:

مذهب السلف إثبات العجب لله كغيره من الصفات الثابتة في الكتاب أو السنَّة، وإن لم تعرف كيفيتها، وهذا في جميع الآيات والأحاديث التي تتعلق بالصفات كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف عقيدة الفرقة الناجية – أهل السنَّة والجماعة– فقد وصفهم بأنَّهم يؤمنون بآيات وأحاديث الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[2].

فالعجب: صفة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الفعلية الخبرية الثابتة له بالكتاب والسنَّة. فالله تعالى يعجب متى شاء إذا شاء على ما يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

قال ابن زنجلة بعد ذكر قراءة ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ بالضم، "قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾، فأخبر جلَّ جلاله أنَّه عجيب"[3]،

ومن السنَّة النبوية حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "لقد عجب الله عَزَّ وَجَلَّ –أو ضحك– من فلان وفلانة"[4]، وقال: "قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"[5]، حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"[6]، وروى الحاكم في "المستدرك" ومن طريقه البيهقي في "الأسماء والصفات"؛ بسند صحيح، عن الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة؛ قال: "قرأ عبد الله – يعني: ابن مسعود –رضي الله عنه–: (بل عجبتُ ويسخرون)؛ قال شريح: إنَّ الله لا يعجب من شيء، إنَّما يعجب من لا يعلم، قال الأعمش: فذكرت لإبراهيم، فقال: إنَّ شريحًا كان يعجبه رأيه، إنَّ عبد الله كان أعلم من شريح، وكان عبد الله يقرأها: (بل عجبتُ)[7].

قال أبو يعلى[8] في "إبطال التأويلات" بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في إثبات صفة العجب: "اعلم أنَّ الكلام في هذا الحديث – يعني: الثالث – كالكلام في الذي قبله، وأنَّه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنا لا نثبت عجبًا هو تعظيم لأمر دهمه واستعظمه لم يكن عالمًا به؛ لأنَّه مما لا يليق بصفاته، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته".

ويذهب قوام السنَّة الأصبهاني[9] إلى أنَّ هناك قومًا يستبعدون وصف الله بالعجب؛ لأنَّ معنى العجب يتنافى مع جلال الله، فالمتعجب هو من علم ما لم يعلم، وهذا

(1) الواحدي، علي: التفسير البسيط، ص28.

(2) ابن تيمية، أحمد: مجموع الفتاوي، ص141.

(3) أبو زرعة، عبد الرحمن: حجة القراءات (تحقيق: سعيد الأفغاني). دار الرسالة، د ت، ص607.

(4) البخاري، محمد: صحيح البخاري، ص148.

(5) مسلم، ابن الحجاج: صحيح مسلم، ص1624.

(6) البخاري، محمد: صحيح البخاري، ص60.

(7) البيهقي، أحمد: الأسماء والصفات، ص415.

(8) أبو يعلى، محمد: إبطال التأويلات لأخبار الصفات (المحقق: محمد النجدي). الكويت: دار إيلاف الدولية، د ت، ص245.

(9) الأصبهاني، إسماعيل: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، ص490.

محال على الله، ثمَّ ذكر أنَّ من أثبت هذه الصفة احتجَّ بهذا الحديث، كما استدلَّ بقراءة أهل الكوفة: ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ على أنَّه إخبار من الله –عَزَّ وَجَلَّ– عن نفسه.

وابن تيمية [1] يذكر: أنَّ النافي صفة التعجب يعترض بأنَّ حقيقة "التعجب استعظام للمتعجب منه"!!. وهذا يتنافى مع علم الله واطِّلاعه، فالله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه، بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيمًا له، والله تعالى يُعظِّم ما هو عظيم، إمَّا لعظمة سببه، أو لعظمته، فإنَّه وصف بعض الخير بأنَّه عظيم، ووصف بعض الشر بأنَّه عظيم"، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: 12] على قراءة الضم فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة. وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) للذي آثر هو وامرأته ضيفهما: "لقد عجب الله" وفي لفظ في "الصحيح": "لقد ضحك الله الليلة من صُنعكما البارحة"، وقال: "إن الرَّبَّ ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي فإنَّه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، يقول: عَلِمَ عبدي أنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنا"[2]، وقال: "عَجِبَ رَبُّكَ من شابٍّ ليست له صَبْوَة"[3]، وقال: "عَجِبَ رَبُّك من راعي غنم على رأس شَظِيَّة يؤذن ويقيم، فيقول الله: انظروا إلى عبدي" أو كما قال، ونحو ذلك[4].

ويصف ابن قرقول[5] منهج أهل السنَّة والجماعة في وصفه جلَّ وعلا بهذه الصفة التي وصف بها نفسه، على وجه يليق بذاته تعالى لا كما يُتوهم منها حين تُضاف للعبد، وقد ثبت ذلك بالنصوص القرآنية الكريمة، وصحت العديد من الأحاديث التي فيها إثبات صفة العجب لله – عزَّ وجل– مما صحَّ إسناده وعدلت نقلته، نثبت ما جاء فيها إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، والله أعلم، فمذهب أهل السنَّة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتًا يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

يقول السنديّ [6]: العَجَب وأمثاله مما هو من قبيل الانفعال، إذا نسب إلى الله –تعالى– يُراد به غايته، فغاية العجب بالشيء استعظامه، فالمعنى عظيمُ شأنٍ عند الله. وقيل: بل المراد بالعجب في مثله إظهار أنَّ هذا الأمر عجيبٌ. وقيل: بل العجب صفة سمعيّةٌ، يلزم إثباتها مع نفي التشبيه، وكمال التنزيه، كما هو مذهب أهل التحقيق في أمثاله. وقد سُئل مالك عن الاستواء، فقال: الاستواء معلوم، والكيف غير معلوم، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ومثله الكلام، في الضحك.

فتأويل الواحدي لصفة العجب على مذهب الأشاعرة هو تأويل هذه الصفة أمَّا أهل السنَّة والجماعة فإنَّهم يثبتون لله جلَّ وعلا ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيه (صلى الله عليه وسلم) من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل[7].

والخلاصة: أنَّ منهج أهل السنَّة والجماعة – قديمًا وحديثًا– إثبات هذه الصفة لله تعالى على مقتضى مشيئته

(1) ابن تيمية، أحمد: مجموع الفتاوى، ص123.

(2) الترمذي، محمد: السنن، ص378.

(3) ابن حنبل، أحمد: المسند (المحقق: شعيب الأرناؤوط –عادل مرشد). مؤسسة الرسالة، 1421، ص600.

(4) ابن تيمية، احمد: مجموع الفتاوي، ص124.

(5) ابن قرقول، إبراهيم: مطالع الأنوار على صحاح الآثار (تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث). دولة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1433، 106.

(6) السندي، محمد: كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه. بيروت: دار الجيل، د ت، ص77..

(7) ابن أبي العز، علي: شرح العقيدة الطحاوية، ص60.

وحكمته وعند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحق أن يُتعجب منه، وهذا العجب الذي وصف به الرسول صلى الله عليه وسلم ربَّه هنا من آثار رحمته، وهو من كماله تعالى، فإذا تأخَّر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم، واستولى عليهم اليأس والقنوط، وصار نظرهم قاصرًا على الأسباب الظاهرة، وحسبوا أن لا يكون وراؤها فرج من الله؛ فيعجب الله منهم، أن كيف يقنطون ورحمته وسعت كل شيء، والأسباب لحصولها قد توفرت؟! فإنَّ حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، وكذا الدعاء بحصول الغيث والرجاء في الله من أسبابها.

الخاتمة:

أولًا- النتائج:

1- إنَّ منهج الواحدي في تأويل الصفات هو منهج الأشاعرة المتأخرين، وذلك في إثبات بعض الصفات لله -تعالى- إثباتًا مقاربًا للسلف من وجه، ومقاربًا من وجه آخر للمعتزلة.

2- إنَّ منهج أهل السنَّة والجماعة إثبات ما أثبته الله -تعالى- لنفسه، وما أثبته له رسوله -صلى الله عليه وسلم-، من غير تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، كما أنَّهم ينفون عنه تعالى ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم-، وقد أثبت الله -تعالى- لنفسه صفة: الوجه، واليدين، والعينين، والعجب.

3- تأويل المعطِّلة أنَّهم يفسرون (الوجه) لله -عزَّ وجلَّ- بالجهة أو الثواب أو الذات، أمَّا الذي عليه أهل الحق أنَّ (الوجه) صفة غير الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركبًا من أعضاء، كما تقول المُجسِّمة، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يُشبه وجهًا ولا يشبهه وجهٌ. ولا تُشبه يده يدًا، ولا تُشبه عينه عينًا.

4- صفة العجب من صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- الفعلية الخبرية الثابتة له بالكتاب والسنَّة. وهي من الصفات الفعلية.

5- أوّل الواحدي صفة الوجه في تفسيره بالبسيط فجعلها بمعنى: الذات أو الجهة أو الثواب، مخالفًا بذلك منهج أهل السنة الذين يثبتون الصفة كما وردت دون تأويل، على وجه يليق بالله بلا تمثيل ولا تعطيل.

6- أوّل الواحدي صفة اليد بالنعمة والقوة والجود، مخالفًا منهج أهل السنة الذين يثبتونها كما وردت، على وجه يليق بالله، دون تشبيه أو تعطيل، معتبرين التثنية دليلًا على حقيقتها.

7- عند تفسير آيات "العين"، ينقل الواحدي أقوال السلف، لكنه يميل إلى تأويلها بمعاني الحفظ والرعاية والمراقبة، معتبرًا "العين" كناية بلاغية تدل على الإحاطة، وليس إثباتًا للصفة على ظاهرها.

8- منهج الواحدي في صفة العجب يقوم على نفي الظاهر، وتأويله بمعاني الاستحسان أو الإنكار بحسب السياق، على طريقة العرب، موافقًا لمذهب الأشاعرة في التنزيه والتأويل.

ثانيًا- التوصيات:

1- ينبغي تسليط الضوء على تراث علمائِنا الأجلَّاء الفضلاء في جميع الأمصار، وإبراز جهودهم، واستخراج الفوائد الكثيرة منها، والرد على المناقض منها.

2- ينبغي علي طلبة العلم أن يدرسوا مؤلفات الأئمة السابقين؛ وذلك حتى لا يضيع هذا التراث العلمي العظيم، وعرضها على الكتاب والسنَّة.

3- الالتزام بعقيدة السلف، فهي الجديرة بأن تجمع المسلمين على كلمة سواء، وتعصمهم من التفرق في

الدين؛ لأنَّها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

4- نبذ الخلافات الهدَّامة، والآراء الشاذة فيما يتعلق بذات الله -عزَّ وجلَّ-، واتِّباع منهج السلف؛ لأنَّه قائم على أسس متينة وقواعد قوية ثابتة، عمادها الكتاب والسنَّة والإجماع، وكل دعوى في اتِّباع مذهب السلف لا تُقبل ما لم تكن مبنية على منهجهم الواضح المستقيم، ولا تزال -والحمد لله- في كل زمن طائفة قائمة بالحق، تدعو إليه، وتجاهد في سبيله، وتجدد ما اندرس من معالمه، لا يضرها من خذلها ولا من خالف أمرها.

المراجع:

الأشعري، علي بن إسماعيل. *الإبانة عن أصول الديانة* (المحقق: فوقية حسين محمود). القاهرة: دار الأنصار – القاهرة. 1397هـ.

الأشعري، علي بن إسماعيل. *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*. ط3، (عنى بتصحيحه: هلموت ريتر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا). 1400 هـ.

الأشعري، علي بن إسماعيل. *رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب* (المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. 1413 هـ.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد. *الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة* (المحقق: محمد بن ربيع المدخلي). ط2، الرياض: دار الراية. 1419 هـ.

الباقلاني، محمد بن الطيب. *التمهيد* (تحقيق: الأب ريتشرد يوسف مكارثي اليسوعي). بيروت: المكتبة الشرقية. 1957م

البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري* (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية). 1422 هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود. *شرح السنة* (تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد زهير الشاويش). ط2، بيروت: المكتب الإسلامي – دمشق. 1403 هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود. *تفسير البغوي* (حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش). ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع. 1417 هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420 هـ.

أبو بكر، أحمد بن إبراهيم. *اعتقاد أئمة الحديث* (المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس) الرياض: دار العاصمة. 1412 هـ.

البيهقي، أحمد بن الحسين. *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث* (المحقق: أحمد عصام الكاتب). بيروت: دار الآفاق الجديدة 1401 هـ.

البيهقي، أحمد بن الحسين. *الأسماء والصفات* (تحقيق: عبد الرحمن عميرة). بيروت: دار الجيل. 1417هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى. *السنن* (المحقق: بشار عواد معروف). بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1998م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام. *مجموع الفتاوى* (المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم). مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية. 1416 هـ.

الثعلبي، أحمد بن إبراهيم. *الكشف والبيان عن تفسير القرآن* (أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين). جدة: دار التفسير. 1436 هـ.

الجصاص، أحمد بن علي. *أحكام القرآن* (المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين). بيروت: دار الكتب العلمية. 1415 هـ.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. *زاد المسير في علم التفسير* (المحقق: عبد الرزاق المهدي). بيروت: دار الكتاب العربي. 1422 هـ.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد. *تفسير القرآن العظيم* (المحقق: أسعد محمد الطيب). ط3، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1419.

ابن حزم، علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل. القاهرة: مكتبة الخانجي. د ت.

ابن حنبل، أحمد بن محمد. *المسند* (المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي). مؤسسة الرسالة. 1421 هـ.

أبو حنيفة، النعمان بن ثابت. *الفقه الأكبر* (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس). الإمارات العربية: مكتبة الفرقان. 1419 هـ.

الخطابي، حمد بن محمد. *أعلام الحديث* (شرح صحيح البخاري) (المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود)، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. 1409هـ.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق. *التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل* (المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان). ط5، الرياض: مكتبة الرشد. 1414.

الدارمي، عثمان بن سعيد. *نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد* (المحقق: رشيد بن حسن الألمعي). مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. 1418 هـ.

أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد. *حجة القراءات* (تحقيق: سعيد الأفغاني). دار الرسالة. د ت.

الزمخشري، محمود بن عمر. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق). مؤسسة الرسالة. 1420 هـ..

السفاريني، محمد بن أحمد. *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2، دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها. 1402. هـ.

السندي، محمد بن عبد الهادي. *حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه*. بيروت: دار الجيل. د ت.

الشافعي، محمد بن إدريس. *أحكام القرآن* (جمع البيهقي، وكتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق). ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي. 1414 هـ.

ابن أبي شيبة، عبد الله *المصنف* (المحقق: كمال يوسف الحوت). الرياض: مكتبة الرشد. 1409 هـ.

الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن. *عقيدة السلف وأصحاب الحديث* (تحقيق: ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع). ط2، دار العاصمة. د ت.

الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان في تأويل القرآن* (المحقق: أحمد محمد شاكر). مؤسسة الرسالة. 1420. هـ.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. *شرح العقيدة الواسطية* (خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل). ط6، السعودية: دار ابن الجوزي. 1421 هـ.

العثيمين، محمد بن صالح. *أحكام من القرآن الكريم*. ط2، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. 1434 هـ.

ابن أبي العز، عليّ بن محمد. *شرح العقيدة الطحاوية* (تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني). مصر: دار السلام. 1426 هـ.

العمراني يحيى بن أبي الخير. *حاشية (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار)* (المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف). الرياض: أضواء السلف. 1419 هـ.

الغنيمان، عبد الله بن محمد. *شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري*. المدينة المنورة: مكتبة الدار. 1405 هـ.

القرطبي، محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي* (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش). ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية. 1384 هـ.

ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف. *مطالع الأنوار على صحاح الآثار* (تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث). دولة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1433 هـ.

ابن القيم، محمد. *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة* (اختصره: محمد البعلي، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم). القاهرة: دار الحديث.1422هـ.

مسلم، ابن الحجاج النيسابوري. *صحيح مسلم* (المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي). بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1374. هـ.

المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد. *الاقتصاد في الاعتقاد* (المحقق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. 1414 هـ.

ابن منده، محمد إسحاق. *كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله – عز وجل– وصفاته على الاتفاق والتفرد*. (تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. 1423 هـ.

نخبة من أساتذة التفسير. *التفسير الميسر*. ط2، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1430 هـ..

الواحدي، علي بن أحمد. *التفسير البسيط*. عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 1430 هـ.

أبو يعلى، محمد بن الحسين. *إبطال التأويلات لأخبار الصفات* (المحقق: محمد بن حمد الحمود النجدي). الكويت: دار إيلاف الدولية. د ت.